

ثلاثة مَلَفَّات خِلافِيَّة ستَتصدَّر مُباحثات الأمير بن سلمان في القاهرة.. ما هي؟



وهل ستضع هذه الزيارة أُسس "مِحور الاعتدال" بصيغته الجديدة؟ ولماذا كَسَرَ الرئيس السيسي أهم البروتوكولات حِرْمًا على إنزاجها؟

خَرَجَ الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي عن البروتوكول الرَّسْمِي مَرَّتَيْنِ، للتعبير عن دَفَاوته بالأمر محمد بن سلمان، وليَّ العهد السعودي، الذي بدأ اليَوْمَ زيارَةً رَسْمِيَّةً للقاهرة لمُدَّة ثلاثة أيَّام.

الأولى: عندما كان في اسْتقباله عند سُلَامِ الطَّائِفة المَلَكِيَّة عند وصوله إلى مطار القاهرة، وهي خُطوة لا يَحظى بها إلا مُلوك ورؤساء الدُّول فقط، ممَّا يعني أن الرئيس السيسي يَتعامل مع ضيفه السعودي الشَّاب بالطَّريقة نفسها التي يَتعامل بها مع كبار الزوَّار.

الثانية: إصدار المَحكمة الدُّستورية العُلْيا في مصر دُكْمًا بإلغاء جميع الأحكام القضائيَّة السَّابِقة التي تُؤكِّد مِصريَّة جزيرتي "تيران" و"صنافير" في مَدخل خليج العقبة، والتأكيد مُجدِّدًا على نَقْل السُّيادة السعوديَّة إليهما، وجاء هذا الحُكم القضائيُّ قبل 24 ساعةً من وصول الأمير بن سلمان إلى مطار القاهرة.

الرئيس السيسي يُدرِك جيِّدًا أن الأمير بن سلمان هو الحاكم الفعلي للمملكة العربيَّة السعوديَّة، وقد يُصبح مَلِكًا مُتَوَجِّهًا في غُضون أشهرٍ قليلة، وليصغَّر سِنُّه (32 عامًا) ربَّما يَسْتمر في الحُكم لما يَقرُب من نِصف قرن، ولهذا يَحْرِص على استغلال هذه الزيارة لتوثيق العلاقات معه،

وبذل كُـلِّ جُـهُودٍ مُـمكِنَةٍ لِإِرضائِهِ أَمـلاً في الحُـصُولِ عَلى المَـزِيدِ مِنَ القُـرُوضِ وَالإِستِثْماراتِ الَّتِي تُساعِدُ في إِخْراجِ مِصرٍ مِنَ أزمَتِها الإِقتِصادِيَّةِ الحالِيَّةِ .

الإِيعازُ لِلمَحْكَمَةِ الدِستورِيَّةِ العُـلْمِيَا الَّتِي يُعَيِّنُ الرئِيسَ جَمِيعَ قُضائِها ، بِإِصْدارِ حُكْمِها بِتَأكِيدِ سِـعُودِيَّةِ جِزيرَتِي "صِنافِير" و"تِيران" قَبْلَ وَصُولِ الأَمِيرِ بِنِ سَلْمانِ كانِ خُطوةً مَحسُوبَةً بِعِنايةٍ فائِقةٍ ، تَـعَكِّسُ إِدراكَ الرئِيسِ السِيسِي لِمدى حِساسِيَّةِ هِذِهِ المَسْأَلَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلى الأَمِيرِ الضَّـيِّفِ ، إِذا عُدنا لِلوراءِ قَليلًا ، وَبِالتَّـحَدِيدِ إِلى نِيسانِ (إِبريل) عَـامِ 2016 ، عَـندما قامَ العاهِلُ السِعودِي المَلِكُ سَلْمانُ بِنِ عَبْدِ العَزِيزِ بِزِيارَةِ رِسمِيَّةٍ كَانتِ الأُولى إِلى مِصرٍ ، جَرى اسْتِقبالُهُ بِحَفاوَةٍ بِالرِغَةِ ، وَلَكن هِذِهِ الحَفاوَةُ انقَلَبتْ إِلى أزمَةٍ حادَّةٍ في العِلاقَاتِ بَينَ البَلَدِينِ ، وَانعَكَستْ في حَرْبٍ إِعلامِيَّةٍ شَـرِسَةٍ ، بِمُجرَّدِ مُغادِرَةِ الضَّـيِّفِ السِعودِي الأَرْضِ المِصرِيَّةِ ، وَالسَّبَبُ إِصرارُ الأَمِيرِ الشَّـابِ بِنِ سَلْمانِ عَلى إِعلانِ تَنازُلِ مِصرٍ عَنِ الجِزيرَتَينِ ، وَإِعادَةِ السِّـيادَةِ السِعودِيَّةِ عَلَـيْهُما ، قَبْلَ بَـدءِ وَالدِهِ لِتِلْكَ الزِّيارَةِ ، وَهُوَ طَلَبُ أَغْضَبِ القِـيادَةِ المِصرِيَّةِ ، وَجَرَحِ كِبرِياتِها الوَطَنِي ، وَازدادَ هِذا الجُرْحُ اتِّساعًا عَـندما قَرَّرتِ السِعودِيَّةُ وَقفَ مُساعِدَتِها لِمِصرٍ ، وَجمَعَتِ اتِّفَاقَ بِتَزويدِها 700 أَلْفِ طَـنٍ مِنَ النِّـفْطِ شَـهْرِيًّا لِمُدَّةِ خَمْسِ سَـنواتٍ بِشُـرُوطٍ مالِيَّةٍ مُخَفِّفَةٍ جِـدًّا .

الطَّـرفانِ المِصرِي والسِعودِي باتا أَكْثَرَ حِـرْصًا عَلى عَدمِ تَـكْرارِ تِلْكَ الأزمَةِ ، وَالْمُضِي قُدَمًا في تَوَثِيقِ العِلاقَاتِ بَـيْـنَهُما ، وَالتَّـركِيزَ عَلى تَطوِيرِ الإِيجابِيَّاتِ وَتَقْلِيسِ السِّـلَبِياتِ بِقَدَرِ الإِمكانِ . مِصرُ تُرِيدُ المَـزِيدَ مِنَ المُساعِداتِ المَالِيَّةِ وَالإِستِثْماراتِ السِعودِيَّةِ ، وَمُضِي الأَخِيرةُ قُدَمًا في مَـشْروِعِ بِناءِ مِـنطَقَةِ "نِيوْم" الحُرَّةِ قُربَ الحُدُودِ المِصرِيَّةِ الأُردُنِيَّةِ السِعودِيَّةِ الَّتِي يَـعْتَبَرُها الأَمِيرُ مُحَمَّدُ بِنِ سَلْمانِ دُرَّةَ تاجِ رُؤِيتِهِ الإِقتِصادِيَّةِ ، وَيَـرْصِدُ لَها مِبلغَ 500 مِليارِ دُولارٍ ، مِمَّا يَـعْنِي عَـشْراتِ الأَلْفِ مِنَ فُرْصِ العَمَلِ لِلشَّـبابِ المِصرِي العاطِلِ عَنِ العَمَلِ ، مِثْـلما يُرِيدُ الرئِيسُ السِيسِي دَـعَمَ السِعودِيَّةِ في مَـعْرَكَتِهِ مَعَ أَثِوبِيا حَولِ سَدِّ النِّـهْضَةِ .

السِعودِيَّةُ في المُقابِلِ تُرِيدُ ضَمَّ مِصرٍ إِلى تحالِفِ "دولِ الاعتدال" الِذي تَـعَكِّفُ عَلى تَأْسيِسِهِ لِيَـكونَ في مُواجَهَةِ إِيرانِ وَحِـلْفِها الِذي يَـضمُّ كَـلَّ مِنَ العِراقِ وَسُورِيَةِ وَحِزْبِ [] في لِبْنانِ ، إِلى جِانِبِ تِيارِ "أَنصارِ []" الحِوثِي في اليَمَنِ ، وَتَجَلَّتْ "نُـوَاةُ" الحِـلْفِ في التَكْتَلِ الرُّباعيِ السِعودِي المِصرِي الإِماراتِي البَـحْرَينِي في أَوْضَاحِ صُورِها في مُقاطِعَةِ دَوْلَةِ قَطْرِ ، وَمُحاوَلَةِ التَصَدِّي لِـلنُـفُوذِ التُرْكِي المُتَـصاعِدِ في المِـنطَقَةِ الشَّـرقِ أوسْطِيَّةِ ، الدِّـعَمِ لِحِركَةِ "الإِخوانِ المُسْلِمِينَ" المُعَارِضَةِ لِـلنِّـظامِ في مِصرٍ ، وَإِقامَتِها ، أَي تُرْكِيَا ، قِواعِدِ عِسكرِيَّةٍ في قَطْرِ ، وَالصُّومالِ ، وَأَخِيراً جِزِيرَةِ سِواكِـنِ السِودانِيَّةِ في البَـحْرِ الأَحْمَرِ ، قُربَ بابِ المَـنَدَبِ .

لاشَكَّ أَنَّ هُنَاكَ خِلافاتٍ بَينَ الجانِبِينِ المِصرِي والسِعودِي ، تَتمحورُ أَبرَزُها في ثَلَاثَةِ مَلفاتٍ أَساسِيَّةٍ ، الأُولُ سُورِيَّةِ ، وَالثَّانِي اليَمَنِ ، وَالثَّالِثُ مَسْأَلَةُ الزِّـعامةِ ، فَمِصرُ حَرِصتْ دائِمًا عَلى اسْتِمرارِ جُـسُورِها مَعَ القِـيادَةِ السُورِيَّةِ الَّتِي تَـعْتَبَرُها شَـرِيعَةً ، عَلى عَـكْسِ السِعودِيَّةِ الَّتِي عَمِلتْ وَتَـعْمَلُ عَلى إِسقاطِ

النظام وتُمَوِّل المُعارضة وتُسلِّحها، وتردِّد تقارير إخبارية عديدة عن إرسال مصر سُحُنات أسلحة لدعم الجيش العربي السوري، كما استقبلت اللواء علي المملوك، المَسْؤُول الأمني السوري الأعلى في القاهرة، ودعمت صِيغة آستانة للتوصُّل إلى اتفاقاتٍ تَهْدئة، وشاركت في جَولاتها بِمِصِفة مُراقب، بتَرشِيحِ إيرانيٍّ روسيٍّ.

أمَّا بالنِّسبة إلى المَلَف اليميني، فقد تَعَثَّرت كُُل المُحاولات السعودية لإقناع مصر بِإرسال قوَّات للمُشاركة في الحَرب اليمينية إلى جانب قوَّات التَّحالف العربي بِقيادتها، واكتفت مصر بأن يكون وجودها في التَّحالف العربي شكليًّا، بِإرسال فرقاطتين حربيتين إلى باب المَندب.

أمَّا بالنِّسبة إلى الثالث، أي التَّنَافس على الرِّعَامة لمَحوِر الاعتدال، فما زالت ناره تحت الرِّمَاد، فمصر لا تَقبل أي مُنافسة لها فيه، بينما تعتقد السعودية أنَّها الأكثر تأهيلاً لها بحُكم مَوقِعها الاقتصاديِّ القويِّ، وعُضويتها في مَنظومة الدُّول العَشرين الأقوى اقتصاديًّا في العالم، ونعتقد أنَّ هذا المَلَف سيتم تَجميده في الوَقت الرَّاهِن.

الأمير بن سلمان لم يَكن راضياً مُطلقاً على هذا المَوقِف المصري المُتمثِّل في عدم المُشاركة بِفاعليَّة في حَرب اليمن، ولكنَّه اضطرَّ إلى تفهِّمه لحاجته إلى تحالفٍ قويٍّ مع مصر في مُواجهة الخَطر الإيراني الذي يُهدِّد المملكة وأمنها واستقرارها وزَعامتها، حسب وَجْه نَظَره، ولم يَكن الحال كذلك مع الأُردن الذي اتَّخذ مَوقِفاً مُشابهاً للمَوقِف المصري.

لا نعتقد أنَّ زيارة الأمير بن سلمان الأولى إلى القاهرة كوليٍّ عَهْد ستَنتهي بأزمةٍ مثل زيارة والده قبل ثلاثة أعوام تقريباً، فالطَّرفان في أمس الحاجة لِبَعْضهما البَعْض، وتداخل المَصالح يُحتِّم التَّغاضي عن بعض الخِلافات من أجل تَوثيق التَّحالف بينهما ولو إلى حين، فالعِلاقات المصريَّة السعوديَّة ظلَّت في حالٍ من المَد والجدب لِعِدَّة قُرون، والتوتر كان الغالب في جَميع فتراتِها، باستثناء بَعْض "الهُدن" التي لم تُعمَّر طويلاً، وانقَلبت إلى حُرُوب.

الأمير بن سلمان باتَ أكثر مُرونةٍ من السَّابِق ومن غَير المُستبعد أن تتمخَّص زيارته الحاليَّة لمصر عن المَزِيد من المُساعدات والقُروض والاتِّفاقات الاقتصاديَّة، وهذا ما يُريده الرئيس السيسي، ويَخرُج عن كُُل البروتوكولات من أجله، فاستقرار مصر وتجاوز أزماتها الاقتصاديَّة يَحْتل قيمةً أولويَّات حُكمه في الوَقت الرَّاهِن على الأقل، وبعدها لكُُل حادثٍ حَدِيث.

"رأي اليوم"